الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

الشعر الأندلسي والهوية العربية

إعداد: الأستاذ الدكتور حميد فؤاد

أكاديمية مراكش آسفي، المغرب

رئيس مركز منارات للدراسات والأبحاث

البريد الإلكتروني: h.hamid1981@outlook.com

تقديم:

نسعى في هذه الورقة البحثية إثارة النقاش بشأن الشعر الأندلسي والدور الذي لعبه في نشر الثقافة العربية في شبه الجزيرة الإيبيرية، خاصة وأن الشعر الأندلسي عكس ملامح الحفاظ على الهوية العربية في الأندلس؛ إذ كان وسيلة للتعبير عن الانتماء الثقافي والديني، وكرس مسألة ترسيخ اللغة العربية رغم التحديات السياسية والاجتماعية، من ثمة فالشعر في الأندلس لم يكن مجرد فن أدبي، بل كان رمزًا للصمود والتواصل بين العرب والمسلمين في الأندلس والعالم الإسلامي. الورقة البحثية إذن، تحاول أن تتماشى مع تصورات المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية، حيث الغاية اثراء النقاش والخروج بتوصيات. لهذا فاختيار العنوان يكتسي أهميته من خلال رصد تجليات الهوية العربية في الشعر الأندلسي، من خلال تتبع كيفية الحفاظ على اللغة العربية، والاعتزاز بالعروبة والإسلام، التعبير عن الاغتراب والحنين للوطن، مقاومة الذوبان الثقافي، ثم تبيان كيفية استمرار الهوية العربية بعد سقوط الأندلس، خاصة وأن هذا الشعر ظل شاهدًا على الحضارة العربية هناك، وأداةً لاستمرار الهوية رغم الاغتراب والضياع.

أهداف البحث:

يركز البحث في الشعر الأندلسي والهوية العربية على مجموعة من الأهداف التي تسهم في فهم العلاقة بين الأدب والهوية الثقافية، ودور الشعر في ترسيخ الانتماء العربي والإسلامي في الأندلس. فيما يلي أبرز الأهداف التي يمكن تناولها:

1. إبراز دور الشعر الأندلسي في حفظ الهوية العربية
2. تحليل تأثير الشعر الأندلسي على الوجدان العربي

3. استكشاف الأغراض الشعرية المرتبطة بالهوية
4. بحث تأثير الشعر الأندلسي على الأدب العربي اللاحق
5. إبراز دور الشعر الأندلسي في مقاومة الذوبان الثقافي

إشكالية البحث:

لما كانت الورقة البحثية تعالج موضوع العلاقة الوثيقة بين الشعر الأندلسي والهوية العربية، فإننا سنعالج إشكالية دور الأدب في الحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية في ظل التحديات التاريخية. يمكن صياغة الإشكالية الرئيسية على النحو التالي:

إلى أي مدى ساهم الشعر الأندلسي في ترسيخ الهوية العربية والحفاظ عليها في ظل التغيرات السياسية والثقافية التي شهدتها الأندلس؟

منهجية البحث:

لمعالجة المشكلة المطروحة سيتم اتباع خطة منهجية استقرائية ترصد حضور الهوية العربية في النص الشعري الأندلسي، وذلك من منطلق المنهج التاريخي والمنهج التحليلي.

الخلاصة والتوصيات:

يخلص البحث إلى أن الشعر الأندلسي لعب دورًا محوريًا في ترسيخ الهوية العربية والحفاظ عليها في ظل التحديات الثقافية والسياسية التي واجهتها الأندلس. كما عكس مشاعر الانتماء والاعتزاز بالهوية العربية، سواء في فترات الازدهار أو في زمن النكبات والسقوط.

التوصيات:

تعزيز الدراسات الأدبية حول دور الشعر الأندلسي في حفظ الهوية العربي، الاهتمام بتدريس الشعر الأندلسي في المناهج التعليمية.

أولا: الشعر الأندلسي والحياة

يعتبر الشعر الأندلسي أحد الفنون الأدبية المتميزة التي ازدهرت في الأندلس خلال فترة الحكم الإسلامي (711-1492م). حيث كان انعكاسًا للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في تلك الحقبة، إذ

تم المزج بين عناصر الحضارة الإسلامية والعربية من جهة، والتأثيرات الأندلسية المحلية من جهة أخرى.

1- الطبيعة في الشعر الأندلسي

إن ما يميز الأندلس الطبيعة الفاتنة، حيث الجبال والسهول والأنهار، هي طبيعة خلبت ألباب الشعراء فتغنوا بمفاتنها ومشاهدها، معبرين عن لواعجهم وعواطفهم ومشاعرهم، ولعل ما زادهم شغفاً بها اختلافهم إلى المتنزهات والحدائق المحيطة ببلدانهم[1]، يقول صاحب معجم البلدان: "أما الأندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وغامر. . . تغلب عليها المياه الجارية والشجر والسعة في الأحوال."[2]

حبا الله الأندلس بالطبيعة الفاتنة فكانت بذلك أغنى بقاع المسلمين منظراً وأوفرها جمالاً. إذ الجبال الخضراء وامتداد البطاح والسهول الواسعة وجريان الجداول والأنهار، وتعيش أفنان أشجارها تغريد العنادل والأطيار وتنساب الماشية والأنعام في مراعيها الجميلة ويعمل الفلاحون في حقولها الخضراء ويعطر النسيم جوها المعتدل وبساتينها المشرقة، وقد تحدث عن جمالها كلٌّ من حلها، وأفاض المقري في وصف طبيعتها الفتانة وجنانها البهيجة وانتهى إلى أنّ محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة، ومجاري فضلها لا يشق غباره.[3]

أمام هذا لجمال الفاتن كان طبعيا أن يتحقق انعكس في أشعار شعرائها، التي زخرت بوصف الحدائق، الأنهار، الزهور، والقصور. حيث برع الشعراء في رسم لوحات طبيعية غنية بالألوان والأحاسيس، ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه ابن خفاجة الذي لقب بـ"شاعر الطبيعة". واصفا إيها بأنها جنة الخلد بمائها وظلها وأنهارها وأشجارها، يقول:[4]

يَـــا أهلَ أنْدَلُـــسٍ لِلّهِ دَرُكمُ مـــاءٌ وظلٌّ وأنهَارٌ وأشْجَارُ

ما جنةُ الخُلدِ إلّا في ديارِكُمُ ولو تخيّرتُ هَذَا كُنْتُ أَخْتارُ

والحق أن هذه الأثر الحسان شغفت القلوب وأدب لهيام النفوس، فتعلق بها الأندلسيون جميعاً، وأقبلوا يسرّحون النظر في خمائلها ويستمتعون بمفاتنها ما شاء لهم الاستمتاع، وأخذ الشعراء والكتاب ينظمون كلمهم درراً في وصف رياضها ومباهج جنانها بعد أن فتحت في نفوسهم قول الشعر.

2- تجربة الحب والغزل

---

[1] - محمد مجيد السعيد، "الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس"، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م، ص41.

[2] - ياقوت الحموي، "معجم البلدان،" مطبعة السعادة، مصر، 1904م، ج1، ص262.

[3] - المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، "نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1949م، ص323.

[4] - ابن خفاجة الأندلسي، أبو إسحق إبراهيم، "ديوانه"، جمعية المعارف المصرية، القاهرة، 2006م، ص85.

احتل الحب المكانة الكبيرة في الشعر الأندلسي، حيث يحضر بقوة في التغزل بالرقة والعذوبة، وقد تحدث الشعراء عن الحب العفيف وأحيانًا الحب الحسي، متأثرين بجمال الحياة الاجتماعية المنفتحة في الأندلس. ومن أبرز شعراء الغزل ابن زيدون الذي اشتهر بقصائده في حب ولادة بنت المستكفي يقول في هذا الصدد: [5]

أحين عِلمت حظك من ودادي ولم تجهل محلَّك من فؤادي

وقادني الهوى، فانقدت طوعا وما مكنتُ غيرك من قيادي

ولما كان الغزل أحد الموضوعات التي برع فيها الأندلسيون، فإن هذه التجربة عكست جوانب من الحياة التي عاشها الأندلسيون، من ثمة فالغزل من الأغراض الشّعريّة الّتي كثر النّظم فيها قديمًا وحديثًا، فقد تعددت أنواعه، على النحو الآتي:[6]

1- الغزل الطّاهر العفيف، من خلاله يرسم الشّاعر لمحات على خلجات نفسه، باثا إيها فرحة اللّقاء، وواصفا ما لاقاه من ألم وعذاب جراء الغرام، ولوعة الحبّ، وقد أطلق على هذا النّوع من الغزل أيضًا اسم الغزل الموضوعيّ؛ على اعتبار أن الشّاعر المتغزّل لا يشير إلى الجوانب الحسّيّة من محبوبته على نحو ما نجد لدى الشاعر ابن زيدون؛ يقول: [7]

أَضحى التَنائي بَديلاً مِن تَدانينـــــا وَنابَ عَن طيبِ لُقيانا تَجافيــنا

أَلّا! وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ صَبَّحَـــنا حَينٌ فَقامَ بِنا لِلحَينِ ناعـيـــنا

مَن مُبلِغُ المُلبِسيـــــــنا بِانتِزاحِهِمُ حُزناً مَعَ الدَهرِ لا يَبلى وَيُبلينا

أَنَّ الزَمانَ الَّذي مازالَ يُضحِكُـــنا أُنساً بِقُربِهِمُ، قَد عـــادَ يُبكينا

2- الغزل الحسِّيّ، مثل هذا الضرب من الغزل الجانب الحساس في مخيلة الشاعر الأندلسي؛ إذ يلجأ من خلاله إلى التّطرّق لجوانب حسّيّة ونفسيّة في المحبوبة، على

---

[5] - ابن زيدون، "الديوان"، شرح: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1415هـ /1994م، ص:68.

[6] - قصي سالم علوان، فالح حمد أحمد، شيماء هاتوفعل، "صورة الغزل الأندلسيّ في شعر بني الأحمر"، مجلة آداب الرافدين، العدد 56، 2010، ص:1-4.

[7] - ابن زيدون، "الديوان"، دراسة وتهذيب: عبد الله سنده، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1426هـ /2005م، ص:11.

نحو التغزل بجمال عيون المحبوبة، وطول قامتها، وجمال مبسمها، وخصرها وحركتها، وحديثها، وقد يلجأ الشّاعر أيضًا إلى تصوير العوائق الّتي تحول بينه وبين محبوبته، كالأهل والوشاة والعذّال، فيبدي الشّاعر تصويرًا لتحايله من أجل رؤيتها ليلًا والنّاس نيام، ويختلس لوصلها اختلاسًا. نحو ما نجد في قول أبي بَكْرٍ يَحْيى بنِ بَقِيٍّ القُرْطُبيِّ الأنْدَلُسيِّ:[8]

بأبي غَـــــــــزالٌ غازَلَتْهُ مُقْلَتي بَيْنَ العُذيبِ وبَيْنَ شَطَّيْ بـــــارِقِ

وسألْتُ مِنه زِيارةً تَشْفي الجَوى فأجابَني مِنها بوَعْـــدٍ صـــــــادِقِ

بِتْنا ونحن مِن الدُّجى في لُجَّـــةٍ ومِن النُّجومِ الزُّهْرِ تحـت سُرادِقِ

عاطَيْتُهُ واللَّيلُ يَسحَبُ ذَيْـــلَهُ صَهْباءَ كالمِسْكِ الفَتيقِ لنـــــاشِقِ

وضَمَمْتُه ضَمَّ الكَمِيِّ لسَيـــــــفِهِ وذُؤابَتاهُ حَمـــــــــائِلٌ في عاتِقي

ج- الغزل بالمذكّر، وهو نوعٌ من الغزل، لا يمكن ربطه بالأندلس وإنما تجب الإشارة إلى حضوره لدى الشعراء العرب في العصر العباسيّ، نتيجة للاختلاط بأقوام غير عربيّة، وكثرة الجواري، إلى أن انتقل إلى الأندلس، والّذين لم يجدوا فيه عيبًا، فقد كان أمرًا طبيعيًّا، نظم فيه الشّعراء والفقهاء، فلم تكن المنزلة الاجتماعيّة والدّينيّة تمنعهم من الميل إلى الغلمان والغزل بهم. وممّا ساعد على انتشاره: تردّد الشّعراء إلى الحانات، بالإضافة إلى وجود الغلمان في البيوت للخدمة، فضلا عن قيام بعضهم بالطّلب من الشّعراء بالتّغزّل بغلمانهم، وقد يكون هذا الانتشار لهذا النّوع من الغزل راجعا إلى التّقليد الشّعريّ، دون حرج. ومِن ذلك قَوْلُ ابنِ عَمَّارٍ:[9]

وهَـوَيْتُه يَسْقي المُدامَ كـــــأنَّهُ قَمَرٌ يَدورُ بكَوْكَـبٍ في مَجــلِسِ

مُتأرِّجُ الحَرَكاتِ تَنْـدى ريحُهُ كالغُصْنِ هَزَّتْهُ الصَّبـــا بتَنَفُّسِ

يَسْقي بكَأسٍ في أنَامِلِ سَوْسَنٍ ويُديرُ أُخرى مِن مَحاجِرِ نَرْجِسِ

عنَّا بكَأسِك قد كَفَتْنا مُقْـلَـــةٌ حَـــــوْراءُ قائِمةٌ بسُكْرِ المَجلِسِ

إن هذا النوع من التغزل بالمذكر مثل جزءاً كبيراً من ديوان الشِّعر الأندلسي، حيث كانت العديد من البواعث التي أذكت جذوته، ومن أهم هذه البواعث: الباعث الفنيّ، والباعث النّفسي المتمثل في حب

---

[8] - عماد الدين الأصفهاني، "خريدة القصر وجريدة العَصْر"، ص:236. أنظر الرابط:https://shamela.ws/book/12856/212#p7

[9] - أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني(542هـ)، "الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة"، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، الجزء الثالث، ص:391.

بعض الشعراء للغلمان، والتغزّل بهم أو سعي البعض وراء الجمال وتصويره أينما وجد، والباعث الاجتماعي الذي أسهم في شيوع هذا الغرض وانتشاره بشكل كبير بين مختلف فئات المجتمع الأندلسي. والحق أن ابن البَنِّي[10] من أهم الشعراء الذين وقفوا معظم أشعارهم على هذا الغرض، وقد كان (أليف غلمان) كما وصفه معاصروه، وقد حدثنا في غزله بالمذكّر عن حقائق واقعة وأحداث معاشة .

3- الشعر الديني والزهد

إثر سقوط بعض المدن الأندلسية تحت سيطرة الممالك المسيحية، تضاعف التوجه نحو الشعر الديني والزهدي، حيث دعا الشعراء إلى التمسك بالقيم الإسلامية والصبر على المصائب، وقد مثل هذا الأنموذج يحيى بن الحكم الغزال في مراحل متقدمة من تجاربه الشعرية التي كشفت عن تحول عميق في طبيعة الموضوعات المطروقة من لدنه، يقول:[11]

أرى أهل اليسار إذا توفـــوا بنـــوا تلك المقابر بالصخور

أبـــــوا إلا مباهاة وفخـــرا على الفقراء حتى في القبـــور

(.....)

لعمر أبيـــهم لو أبصـــروهم ولمـــا عرف الغني من الفقير

ولا من كان يلبس ثوب صوفٍ من البدن المباشر للحـــرير

إذا أكـــــل الثرى هذا وهذا فما فـضـــل الكبير على الحقير

لقد عكست هذه الأبيات الدعوة الصريحة إلى الحياة المثالية؛ المتمثلة في الزهد والابتعاد عن التفاخر والمباهاة، إن هذا المقطع الشعري كشف عن جانبين مهمين؛ الجانب الأول تعلق بزهد الغزال في الدنيا ودعوته إلى الإصلاح والمثالية، والجانب الثاني يعبر من خلاله عن ثورة على مجتمع وصل به الترف حد بناء القبور، لذلك فهو يهاجم محاججا إياهم بإثبات المساواة في أو لمرحلة من مراحل الآخرة؛ وهي القبور؛ إذ لا يميز بين لابس الصوف ولابس الحرير ولا بين الإناث والذكور، ولا بين العبيد أو الولاة.[12]

---

[10] - هو أبو جعفر أحمد بن محمد البني اليعمري الأبدي المعروف بابن البني، أديب وشاعر أندلسي في زمن دولة المرابطين. كان شاعراً يكثر من الهجاء والغزل، وقد تبوأ الغزل في أعماله مكانة ملحوظة، مشكلاً نصف مجموع شعره، كما وُصف بخبيث اللسان لكثرة هجائه.
يعود لقبه البني إلى بنة والأبدي نسبة إلى أُبّدة، وبما أنه يعمري فنسبه عربي يرجع إلى بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار. تفقّه ابن البني على يد ابن رزق القرطبي، واستقر بميورقة ويابسة، وكان مثقفاً حراً لا يبالي بأي مذهب، وتوفي عام 490 للهجرة.

[11] - يحيى بن الحكم الغزال، "الديوان"، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م، ص:61.

[12] - صالح ويس محمد، "التحولات الفكرية في القصيدة الأندلسية"، مجلة ديالى، العدد 85/2020، ص:463.

4- الحنين إلى الأندلس

بعد سقوط الأندلس، عبّر الشعراء عن حزنهم وألمهم لفقدان أرضهم، وكان هذا واضحًا في قصائد ابن عبدون والمعتمد بن عباد، حيث صوروا مشاعر الغربة والحنين إلى مجد الأندلس الضائع.

ثانيا: الشعر وحضارة الأندلس

الحديث عن الأندلس يقتضي الحديث عن الشعر؛ نظرا للدور الذي لعبه هذا الأخير في بناء صرح ثقافي متميز مازالت معالمه شاهدة عليه إلى لحظة كتابة هذه السطور، لهذا فحضارة الأندلس استمدت قوتها وتجذرها من الشعر، باعتباره مثل ديوان الأندلس، لذلك فحضارة الأندلس تأثرت بالشعر، حيث اعتبر هذا الأخير جزءًا محوريا في تشكل الثقافة والفنون الأندلسية، وكان بناء معماريا ساهم في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للناس في تلك الفترة. يقول غوميس غرسيه "إن الشعر العربي الأندلسي -كغيره من الأنواع الأخرى لهذا الأدب- كيان فني مازال تراثا حيا خالدا بقيمه وما خلفه في ذاكرتنا، ولكنه تراث مندثر، مات بعد أن أكمل دورة مولده ونموه وسائر أطوار حياته."[13] يمكن تلمس هذا من جوانب مختلفة تبرز مدى تأثير الشعر على الحضارة الأندلسية.

1- وسيلة للتعبير الفني:

كما سبقت الإشارة فقد كان الشعر وسيلة مهمة للتعبير عن المشاعر والأفكار، سواء في الحب، أو الفخر، أو الشكوى. وقد استخدم الشعراء الأندلسيون أساليب بلاغية معقدة، مما أدى إلى إبداع أشكال شعرية جديدة مثل الموشحات والزجل. وقد تمثل هذا من خلال إحداثهم فناً جديداً يتجاوب مع البيئة التي شاع فيها الغزل والشراب والغناء وهو الموشح الذي يعتمده أكثر من وزن وأكثر من قافية، فيعمد الوشاح فيه إلى ضرب من التنويع والافتنان العروضي. لهذا فقد اسْتَعمَلَ المُوَشِّحونَ المُوَشَّحاتِ في المَوْضوعاتِ الَّتي تَصلُحُ للغِناءِ؛ إذ كانَتِ المُوَشَّحاتُ وُضِعَتْ أصْلًا لِيُتَغنَّى بها؛ ولِهذا كانَ أكْثَرَ ما تُكتَبُ فيه المُوَشَّحاتُ: الغَزَلُ والوَصْفُ ومَجالِسُ الشَّرابِ.
لكنْ معَ تَطوُّرِ ذلك اللَّوْنِ صارَ يُنظَمُ لِذاتِه لا للغِناءِ، فأصْبَحَ الوَشَّاحونَ يَنظِمونَ المُوَشَّحاتِ في المَدْحِ والهِجاءِ والرِّثاءِ وغيْرِ ذلك.
كما ظَهَرَ اسْتِخْدامُه في التَّصوُّفِ؛ حيثُ أكْثَرَ ابنُ عَرَبي مِن اسْتِعْمالِه، وفي ديوانِه سِتَّةٌ وعِشرونَ مُوَشَّحًا صوفيًّا.

هذا الفن نشأ في القرن الثالث الهجري على يد رجلين من قرية قبرة cabra بالأندلس هما: محمد بن حمود الضرير، ومقدم بن معافى، كما قال ابن بسام وابن خلدون. وإن كان بعض

[13] - غوميس غرسيه، داما سو ألونسو، ماريا خيسوس بيجيرا،"ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي"، ترجمة وتقديم: محمد علي مكي، المجلس الأعلى للثقافة، سنة 1999، ص:53.

الدارسين، ومنهم المستشرقان الإسبانيان خوليان ريبيرا Ribera وغارثيا غومث Garcia Gomez، يرون أن الموشح تقليد لشعر رومانسي كان الإسبان يتغنون به، وقد أبقوا منه الخرجة الأعجمية، فالموشح يتألف من مطلع ومجموعة أدوار وخرجة، فالمطلع هو القفل الأول، أما الدور فيتألف من مجموع القفل والغصن. ويأتي القفل على سمط أو اثنين أو أكثر، وكذلك الغصن، أما الخرجة فهي القفل الأخير من الموشحة.

نظم الموشح في الأغراض المختلفة، وظهرت أسماء لامعة لوشاحين كان أغلبهم شعراء من أمثال أبي بكر عبادة بن ماء السماء (ت422هـ)، وعبادة القزاز (ت484هـ)، وابن اللبانة (ت507هـ)، والأعمى التُّطيلي (ت520هـ)، وابن بقي (ت540هـ)، وابن زهر الحفيد (ت595هـ)، وابن سهل الإشبيلي (ت659هـ)، وأبي الحسن الششتري (ت668هـ)، وأبي حيان الغرناطي (ت745هـ)، ولسان الدين بن الخطيب (ت776هـ)، وابن زمرك (ت797هـ)، وابن عاصم الغرناطي.[14]

في الوقت الذي شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، نسجت العامة على منواله بلغة غير معربة قريبة إلى اللغة التي يتكلم بها الناس في مخاطباتهم اليومية ما سموه بالزجل. وقد مرت الأزجال بأدوار متلاحقة أولها دور الأغنية الشعبية، ثم دور القصيدة الزجلية، واتسعت الأزجال لأغراض كثيرة كالمديح والغزل والتصوف والوصف.

ومن أشهر الزجالين ابن قزمان (554هـ)، وله ديوان أزجال كبير ويخلف بن راشد، وكان إمام الزجل قبل ابن قزمان، ومدغلّيس (أحمد ابن الحاج) الذي كان شاعراً وشاحاً، والششتري وقد برع في القصيدة والموشح، وهو أول من استخدم الزجل في التصوف كما استخدم محيي الدين بن عربي التوشيح فيه.

2. التفاعل الثقافي:

الشعراء الأندلسيون تفاعلوا مع ثقافات أخرى، بما في ذلك الثقافات المسيحية واليهودية. هذا التفاعل أثرى الشعر الأندلسي بمؤثرات متنوعة، مما جعله متميزًا عن الشعر في المناطق الأخرى. يمكن تلمس هذا في الأشعار التي استحضرت البعد الثقافي، فكان حاضرا في نتاج شعراء أيقنوا أهمية هذا التمازج فجاءت أعمالهم مجسدة لهذا الاتجاه

3. التوثيق التاريخي:

[14] - هناء دويدري، "تاريخ الشعر العربي في الأندلس"، على الرابط الإلكتروني: https://islamstory.com يوم:13/04/2025 الساعة 12:22 بتوقيت المغرب.

استخدم العديد من الشعراء الشعر كوسيلة لتوثيق الأحداث التاريخية والاجتماعية. من خلال القصائد، يمكننا أن نتعرف على القضايا السياسية والاجتماعية التي واجهت الأندلس في ذلك الوقت. أمكننا تلمس هذا المعطى انطلاقا من الأحداث الجسام التي حلت بالأندلس جراء توالي سقوط المدن، فكان رثاء المدن توثيقا لمرحلة تاريخية عاشها الشاعر الأندلسي فضمن أشعاره هذا السقوط مستعرضا جوانبا من أسبابه خاصة لما انقض النورمان على جزيرة صقلية عام 453هـ ليخلفوا بفعلتهم تلك جروحا لا تندمل في قلوب الأندلسيين؛ لا سيما سكان تلك الجزيرة؛ ومن ضمنهم الشاعر (ابن حمديس) الذي جزع جزعا شديدا لمصاب بلدته تلك، فراح يندبها بشعر رقيق يفيض حزنا وأسىً[15]، بيد أن حزنه الشديد لم ينسه أرومته العربية التي ظل معتدا بها مفتخرا بقومه الصقليين، الذين ما انفك يدعوهم إلى الجهاد ويحثهم على المقاومة، ويحذرهم من خطر الاستسلام والخنوع قائلا:[16] (بحر الطويل)

بَنِي الثغرِ لَسْتُمْ في الوغى من بني أمي ... إذا لم أصـــل بالعرب منكم على العجمِ
دعوا النوم أني خائف أن تدوسكـــم ... دواهٍ وأنـــتم في الأمـــــاني مع الحُـــلمِ
فردوا وجوه الخيلِ نحـــــو كـــــريهةٍ ... مصرحةٍ في الرومِ بالثكـــل واليُـــتمِ
تهيل من النقـــــع المحـــلق بالضحى ... على الشمس ما هالته ليلا على النجم
ولله منكـــم كلُّ مـــاضٍ كعـضـــبه ... يسيل إلى الهيجاءَ متقدَ العَـــــــزْمِ

هذه القصيدة من المراثي التي تغلب عليها الحماسة، فالمعاني تدور حول استنهاض الهمم واستثارة العزائم والحض على القتال كما تتوالى صورها أيضا على هذا النسق وتتسم بالحسية وقرب المأخذ، أما الألفاظ فقد حرص الشاعر على جزالتها وقعقعتها حتى بدت القصيدة بتلك الألفاظ الجزلة القوية أشبه بدوي النفير في الحروب[17] – ولاشك في أن هذا الأسلوب يلتجيء إليه الشاعر عندما تكون مدينته محاصرة ولما تسقط بعد – وسرعان ما تأخذ ثورة الشاعر بالخفوت ولا سيما في أبياته الأخيرة التي يشيع الحنين في أعطافها فتتدفق معانيه بكل رقة وعذوبة عندما يناجي الشاعر أخلاءه ويدعوهم إلى التمسك بأوطانهم وترك البعد والهجرة، فالإحساس بالغربة إحساس مرير يمض النفس ويجرح الإحساس ويأسر الفؤاد.

4. دور الشعر في الحياة الاجتماعية:

[15]- احسان عباس، "العرب في صقلية، دراسة في التاريخ والأدب"، دار المعارف، القاهرة، 1959م، ص:183.
[16]- ديوان ابن حمديس، ص: 416.
[17]- ينظر: عمر الدقاق، "ملامح الشعر الاندلسي"، ص: 165

- كان الشعر جزءًا من الحياة اليومية للأندلسيين، حيث كانت تُلقى القصائد في المناسبات الاجتماعية مثل الأعراس والمهرجانات. كما كانت تُستخدم كوسيلة لتقوية الروابط الاجتماعية بين الأفراد.

5. تأثير الشعر على الفلسفة والفكر:

- العديد من الفلاسفة والعلماء الأندلسيين، مثل ابن رشد، استخدموا الشعر للتعبير عن أفكارهم الفلسفية. كان هناك تداخل بين الشعر والفكر، حيث استخدم الشعراء الفلسفة كموضوعات لقصائدهم.

6. إلهام الفنون الأخرى:

- الشعر ألهم الفنون الأخرى مثل الموسيقى والرسم. الموشحات، على سبيل المثال، كانت تُغنى وتُرافق بالعزف، مما جعل الشعر جزءًا من التراث الموسيقي الأندلسي.

7. التحفيز على الإبداع:

- كانت المنافسات الأدبية بين الشعراء، مثل ما كان يحدث في مجالس الأندلس، تدفع الشعراء إلى الابتكار والإبداع، مما أسهم في تطور الأدب والشعر بشكل عام.

8. تكوين الهوية الثقافية:

- الشعر ساهم في تشكيل الهوية الثقافية للشعب الأندلسي. من خلال التعبير عن القضايا المحلية والمشاعر الوطنية، أصبح الشعر وسيلة لتعزيز الانتماء والاعتزاز بالثقافة الأندلسية.

ثالثا: تأثير الشعر الأندلسي على الهوية الثقافية العربية

المتتبع لحركية الشعر الأندلسي يقف عند حقيقة مُفادُها أن هذا الجنس الأدبي لعب دورا مهما في تشكل الهوية العربية داخل إقليم الأندلس؛ حيث عُدَّ من أبرز الفنون الأدبية التي أثرت بشكل كبير في تشكيل الهوية الثقافية العربية، والحق أن هذا النوع من الشعر عكس تمازجًا فريدًا بين الثقافات العربية والإسبانية في فترة الأندلس. لقد أضحى الشعر الأندلسي في هذه الربوع ملاذا آمانا للبوح والكشف عنما يخالج الذات من مشاعر وأحاسيس، كما مثل نافذة تطل على الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في تلك الحقبة. إن الوقوف عند أهم الأغراض الشعرية التي ميزت هذا الشعر، تدفعنا إلى فهم كيف ساهم هذا الفن في تعزيز الهوية الثقافية العربية.

بيد " أن الإنسان العربي في الأندلس ظل أقوى تعصبا للغة العربية وعلومها، وأشد تمسكا بآدابها وتراثها، وأوثق تعلقا بالثقافة العربية الأصيلة من غيرهم – حتى في المشرق – ذلك أن أكثر أولئك العرب في الأندلس ينتمون إلى أعراق قبائل العرب، وأصلهم ونسبهم، وأكرمهم وأطيبهم محتدا، لهذا دأبوا على الولاء للغتهم، والولوع بتراث أسلافهم، ومن ثم نشأت أجيال متتابعة على ذلك، فكان لهذا أثره على الشعراء الأندلسيين بأن ترسموا الشعر العربي الأصيل، وحافظوا على منهجه، وطرقوا موضوعاته المعروفة وفنونه المختلفة، من مدح ورثاء، وفخر وحماسة وهجاء، وزهد وحكمة."[18]

والحق أن الشاعر الأندلسي كان على وعي بمسألة الانتماء، فحاول جاهدا التكريس لها مستحضرا الأصول العرقية المنتسبة إلى القبائل العربية، في محاولة منهم إثبات الأصالة والنزاهة، لذلك ألفينا أبن الخطيب يعدد الأصول العرقية المنتسبة إلى القبائل العربي، نذكر منها على سبيل التمثيل: "القرشي، والفهري، والأموي، والأزدي، والقيسي، والكناني، والخزرجي، والقحطاني... وابن الخطيب كان دائم الفخر بنسبه الذي يمتد إلى قبيلة السلمانيين وهم من عرب اليمن القحطانية."[19] لهذا فقد جاءت مدائحه للملوك تتسم بذكر أسماء الخلفاء العباسيين للدلالة على ارتباطه بالمشرق، وللتأكيد على أصوله العربية، ولا ينسى الإشارة إلى الخصال الحميدة التي اشتهر بها العربي مثل الكرم والشجاعة، يقول:[20] (بحر الطويل)

وبالسيف سفاح وبالهـــــدى مهـــتد وبالرعب "منصور" و "بالله" مستكفي

من العرب الشم الأنوف إذا اجـتبوا تبوأت في جـــــار مجبر وفي حِـــــلْف

كرام إذا ما الغيث في الأرض لم يكف بصـــــــــــوب حيا كانت أكـــفُّهم تكفي

ننطلق في هذا المستوى من التصور الذي أسس له الدكتور إبراهيم أبو الخشب؛ إذ يقول: "إنَّ الدَّارِسَ للأَدَبِ العَربيِّ في الأَنْدَلُسِ ليَأخُذُه الإعْجابُ العاجِبُ لتلك الرَّوْعةِ البَيانيَّةِ، والميزةِ البَلاغيَّةِ، والطَّلاوةِ الأدَبيَّةِ، الَّتي انْفَرَدَ بها عن سِواه مِن ألْوانِ الأدَبِ في سائِرِ العُصورِ التَّاريخيَّةِ المُخْتلِفةِ!".[21] لهذا نلفي أغراضا شعرية تعبر عن هذه الروعة وتكشف عن حس مرهف نستطيع تتبعه انطلاقا من غرض الغزل الذي يعبر عن الحب والجمال بأسلوب رقيق ومؤثر. وقد عَرَفَتِ الأنْدَلُسُ شِعْرَ الغَزَلِ

[18] - حميد فؤاد، " القصيدة الأندلسية بين الاتباع والابتداع خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين"، رسالة دكتوراه مرقونة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي بتطوان، سنة 2015م، ص:102.

[19] - لسان الدين بن الخطيب، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، الجزء الأول، ص:37.

[20] - لسان الدين ابن الخطيب، "الديوان"، الجزء الثاني، ص:675.

[21] - إبراهيم أبو خشب، "تاريخ الأدب العربي في الأندلس"، (ص: 61).

بنَوْعَيه؛ العُذْريِّ العَفيفِ، والحِسِّيِّ الفاحِشِ، كما أنَّها عَرَفَتِ التَّغزُّلَ بالمُذكَّرِ معَ سُقوطِ الدَّوْلةِ الأُمَويَّةِ في الأنْدَلُسِ وبدايةِ عُصورِ الطَّوائِفِ ونَحْوِها.

ولما كان الشعر ديوان العرب، فإننا نجد الأندلسيين على وعي بهذه الحقيقة، لذلك اعتبروا الدواوين الشعرية مصدرا لتعلم اللغة العربية، إذ أصبحت المناهج الدراسية تستمد مقوماتها من الشعر والترسل، وقد ألمح ابن خلدون إلى هذا الملمح، يقول: "وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتابة، وجعلوه أصلًا في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم الولدان رواية الشعر، والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجربة الخط والكتابة... إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شد بعض الشيء في العربية والشعر وأبصر بهما، وبرز في الخط والكتاب، وتعلق بأذيال العلم على الجملة،"[22] إن هذا الكلام يكشف بجلاء أن الأندلسيين كانوا على ذراية بأهمية الشعر في الحفاظ على اللسان العربي؛ خاصة في صفوف النشء، لذلك يتم الحرص أولا في عملية التعليم على تلقين المتعلمين أصول اللغة العربية، مع الحرص على اتقانها ، لهذا فإننا نلفي الطلاب يبدؤون دراسة النحو والتعمق فيه؛ ليعينهم على فهم بقية المواد الأخرى، وتليه دراسة المواد الدينية؛ من فقه وحديث وتفسير وأصول.[23]

والحق أن هذا الشعر التعليمي انماز بمجموعة من الخصائص جعلته يمتلك فنيات، كما هو الشأن لباقي أنواع الشعر الأخرى، وقد لفت انتباهنا نص في غاية الأهمية لعبد الله كنون، يقول: "من هذا الباب قصيدة (غرامي صحيح) لابن فرج الإشبيلي التي جمع فيها ألقاب الحديث بأسلوب عجيب ومنهج غريب، إذ سلك بها مسلك أهل الغزل في ظاهر اللفظ وحمل كل لقب من ألقاب الحديث على معنى يليق بهذا الغرض، حتى لو ألقيت على عربي فصيح خالي الذهن من إصلاحات أهل الحديث لما فهم منها إلا معاني غزلية رقيقة تنشرح لها النفوس وتغتبط بها القلوب، وإليك الحكم: من خلال مطلعها:

غرامي (صحيح) والرجا فيك مُعْضَلُ وحُزني ودمعي مطلق ومسلسل"[24]

كذلك قصيدة أبي الجيش محمد ضياء الدين الخزرجي الأندلسي، أو السبتي المعروفة بالزخرجية الملقبة بـ (الرامزة) في علم العروض التي سارت بذكرها الركبان، حيث جمعت مهمات هذا العلم في تسعين بيت ونيفٍ، بفضل ذلك الأسلوب البديع وهو الرمز والإشارة، يقول في مطلعها:

للشعر ميزان يسمى عروضه بها النقصان والرجحان يدريهما الفتى[25]

---

[22] - ابن خلدون، "المقدمة"، ج3، تحقيق: عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، ص: 221.
[23] - الطاهر أحمد مكي، "دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة"، الناشر مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1397هـ /1977م، ص: 45.
[24] - عبد الله كنون، "أدب الفقهاء"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1436هـ/2014م، ص:244.
[25] - المرجع نفسه، ص: 245.

لقد حافظ الشعراء الأندلسيون على الأسلوب العربي المحكَم البناء، القوي الرصين مستندين بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف. فجاءت صُورُهم حينئذ واضحة الدلالة والمعالم، تعْرض تجربة الشاعر في سهولة ويُسر، وهذه هي البلاغة.

يقول ابن حزم: "البلاغة ما فهِمَه العامِّيُّ كفهْم الخاصِّيِّ، وكان بلفظ يتنبَّه له العامِّيُّ، لأنه لا عهد له بمثل نظْمه ومعناه، واستوعَب المرادَ كله، ولم يزدْ فيه ما ليس منه، ولا حذفَ ما يحتاج مِن ذلك المطلوب شيئًا. وقرب على المخاطب فهمه، لوضوحه وتقريبه ما بعُد من المعاني، وسهُل عليه حفظه، لقِصَره وسهولة ألفاظه".[26] لهذا حتى تصبح أشعارهم محافظة على الهوية العربية حرصوا على جميل انتقاء الألفاظ، ولم يقحموا في أشعارهم ألفاظ دخيلة، إذ أَدَّى حُسْنُ الانتقاء للألفاظ، إلى نُدْرة الألفاظ الأعجمية في شعر الشيب والشباب خاصة، وكان ظهوره في خواتيم أيامهم بالأندلس. ومن هذا قول أبي محمد - من وزراء بني القبطرنة - في رسالة له إلى محمد بن عبدون (ت 529 هـ) يقول فيها: (بحر الطويل)

فمن به ضافي الجناح كـــــأنه على دُسْتبانِ الكفِّ بعض السلاطين

إذا أخــذت كفاه يوما فريسة فمن عِقْـــد سبعين إلى عقد تسعين

من هذا المنطلق نسجل على أن الأندلسيين كانوا على وعي تام بأهمية اللغة العربية والحفاظ عليها مع ترسيخ الهوية، حيث صارت لغة الأندلسيين الشعرية متحاشية الألفاظ الإسبانية رغم احتكاكهم المباشر بالإسبان، ومبتعدة عن العجمة الأجنبية، باستثناء ما حصل بعد أفول نجم الأندلسيين في آخر أيامها، خاصة بعد زوال سلطان العرب، وآذنت شمس الإسلام بالمغيب في هذه الربوع، لكن في المشرق فقد بقيت لغته الشعرية غاشية الألفاظ الدخيلة، التي لم يسلم منها كبار الشعراء.

ولما كانت "اللغة هي أعظم مقوم من مقومات الأمة الواحدة، فهي التي توحد بينها، وتبرز عناصر القوة والمنعة فيها، وتروي تاريخها، وتربط بين أجزائها، بل هي بكلمة واحدة عنوان الأمة، ورمز وجودها."[27] فإن الأندلسيين كانوا على وعي بهذه المسألة، لذلك جاءت أشعارهم منسجمة مع هذا

---

[26] - إحسان عباس،" تاريخ النقد الأدبي عند العرب". دار الثقافة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1404هـ/*1983م، ص: 485.

[27] - محمد حسان الطبان، "اللغة العربية والإعلام"، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي 7 -10 ماي 2013؛ ص:2.

لائحة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أبو خشب، "تاريخ الأدب العربي في الأندلس"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1966م.

2- لسان الدين ابن الخطيب السلماني، "الديوان"، الجزء الثاني، تحقيق وتقديم: محمد مفتاح، دار الثقافة للطباعة والتوزيع،1409هـ، 1989م.
3- ابن حمديس،" الديوان"، تقديم وتصحيح: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
4- ابن خفاجة الأندلسي، أبو إسحق إبراهيم، "ديوانه"، جمعية المعارف المصرية، القاهرة، 2006م.
5- ابن زيدون، "الديوان"، دراسة وتهذيب: عبد الله سنده، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1426هـ /2005م.
6- ابن زيدون، "الديوان"، شرح : يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1415هـ /1994م.
7- أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، الجزء الثالث، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
8- احسان عباس، "العرب في صقلية، دراسة في التاريخ والأدب"، دار المعارف، القاهرة، 1959م.
9- إحسان عباس،" تاريخ النقد الأدبي عند العرب"، دار الثقافة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1404هـ/1983م.
10- حميد فؤاد، " القصيدة الأندلسية بين الاتباع والابتداع خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين"، رسالة دكتوراه مرقونة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي بتطوان، سنة 2015م.
11- صالح ويس محمد، "التحولات الفكرية في القصيدة الأندلسية"، مجلة ديالى، العدد 85/2020..
12- الطاهر أحمد مكي، "دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة"، الناشر مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1397هـ /1977م
13- عبد الرحمان بن خلدون، "المقدمة"، تحقيق: عبد السلام الشدادي، ج 3، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب.
14- عبد الله كنون، "أدب الفقهاء"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1436هـ/2014م.
15- عماد الدين الأصفهاني، "خريدة القصر وجريدة العَصْر"، أنظر الرابط:https://shamela.ws/book/12856/212#p7

التوجه. من ثمة ألفينا اللغة في نتاجهم قد لعبت دوراً مهماً في إيصال القيم والتقاليد والتجارب الإنسانية. وهو ما يُمكن القول معه إن الشعر الأندلسي، بما يتميز به من إيقاع وصور بلاغية، مثل أحد أقدم أشكال التعبير الأدبي في حضارة الأندلس، يعكس الشعر من خلال لغته الشعرية، العمق الثقافي والتاريخي للأمة العربية في هذه الربوع، مما يجعله وعاءً لتجارب الأجيال المختلفة.

من هذا المنطلق جسد الشعر رافدا ثقافيا متميزا ألهم ذائقة غير العربي في هذه الربوع، حيث يمكن إيعاز ذلك إلى أن الأندلس قد تحولت إلى

شعلة للعلم والحضارة، وأصبحت حواضرها ملتقى للحضارات العالمية، وكان إقبال أهل الأندلس أو من وفد إليهم من اليهود والصقالبة على تعلّم اللغة العربية كبيرا؛ إذ كانت لغة العلم وقتها. لهذا

16- عمر الدقاق، "ملامح الشعر الاندلسي"، منشورات دار الشرق، بيروت.

17- الغزال، "الديوان"، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م.

18- غوميس غرسيه، داما سو ألونسو، ماريا خيسوس بيجيرا،"ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي"، ترجمة وتقديم: محمد علي مكي، المجلس الأعلى للثقافة، سنة 1999.

19- قصي سالم علوان، فالح حمد أحمد، شيماء هاتوفعل، "صورة الغزل الأندلسيّ في شعر بني الأحمر"، مجلة آداب الرافدين، العدد 56، 2010.

20- لسان الدين بن الخطيب السلماني، "الإحاطة في أخبار غرناطة"، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت
الطبعة: الأولى، 1424 هـ.

21- محمد حسان الطبان، "اللغة العربية والإعلام"، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي 7 -10 ماي 2013.

22- محمد مجيد السعيد، "الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس"، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م.

23- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، "نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1949م.

24- هناء دويدري، "تاريخ الشعر العربي في الأندلس"، على الرابط الإلكتروني: https://islamstory.com يوم:13/04/2025 الساعة 12:22 بتوقيت المغرب.

25- ياقوت الحموي، "معجم البلدان،" مطبعة السعادة، مصر، 1904م، ج1.

نستطيع القول إن الأندلس تشرّبت حب العربية وعلومها، وألقت عليها من سحرها الخاص، حتى أصبحت فنون اللغة والأدب في الأندلس ذات مذاق خاص المتأمل في النصوص الشعرية الأندلسية يلفي هذا الحضور اللغوي المتميز، الذي حفظ للغة العربية ألقها وجمالها في هذه الربوع. وما جمع الشخصية الأندلسية في تأليفها بين مختلف الفنون لدليل على ذلك، نستحضر في هذا الباب عثمان بن المثنى القيسي تلميذ ابن الأعرابي، الذي حرص على لقاء أبي تمام والأخذ عنه ديوانه وأقرأه بقرطبة، ومنهم محمد بن عبد الله حفيد الغازي، تتلمذ للغويي العراق من أمثال الرياشي وأبى حاتم وجلب إلى الأندلس علما كثيرا من اللغة والعربية، وعنه روى الأندلسيون الأشعار المشروحات كلها، ومنهم ثابت بن عبد العزيز وابنه قاسم وهما أول من أدخل معجم العين المنسوب إلى الخليل بالأندلس.

خاتمة:

إلى هنا أمكننا القول إن الشعر في الأندلس شكل مرآة صادقة شفيفة، كشفت عن سمو الذوق الفني للشاعر الأندلسي، وهو ما تمثل في تعدد الأغراض، والموضوعات المطروقة، التي عبر من خلالها الشاعر عن مشاعر صادقة، مثلت فيما بعد وثيقة تاريخية يمكن العودة إليها للتتبع نتاج شعراء هذه الربوع، الذين استطاعوا أن ينمازوا عن شعراء المشرق من خلال طرائق التجديد في الموضوعات. بيد أن ما يمكن التعبير عنه هو أن هذا الشعر حافظ على جمال اللغة العربية وضمن استمرارها في هذه الربوع رغم الإكراهات التي عاشها الشاعر الأندلسي، أضف إلى ذلك طبيعة المحيط العام الذي جلل الوعي الشعري لدى شعراء الأندلس.

نؤكد على مسألة في غاية الأهمية وهي الشعر الأندلسي مثل وسيلة للتعبير عن الهوية الثقافية العربية أمام التعددية الثقافية التي شهدتها الأندلس. حيث استخدم الشعراء الأندلسيون اللغة العربية للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم، وهو ما ساعد في تعزيز الانتماء إلى الثقافة العربية. من خلال القصائد الشعرية المعبرة، إذ من خلالها استطاع الشعراء إبراز جمال اللغة العربية وإظهار غناها، مما جعلها لغة حية تتداول بين الناس.

الجانب الآخر الذي تجب الإشارة إليه أن هذا الشعر تميز بخصيصة الابتكار والتجديد في الأساليب والمواضيع. على اعتبار أن الشعراء الأندلسيون أدخلوا عناصر جديدة إلى الشعر العربي، على نحو؛ استخدام الأوزان الشعرية المختلفة وتطوير الأشكال الشعرية. الأمر الذي أسهم في لفة انتباه الأجيال الجديدة إلى اللغة العربية، مما أدى إلى استمرار استخدامها وتداولها في الحياة اليومية. المعطى الخر الذي نسجله في هذا الصدد هو أن الشعر الأندلسي أثر بشكل كبير على الأدب العربي. إذ نجد مجموعة من المدارس الشعرية في العالم العربي قد غرفت من معين هذا الشعر الأندلسي وتأثرت به، الأمر الذي انعكس إيجابا على نشر اللغة العربية وأدبها في مناطق مختلفة. كما أن العديد من الشعراء

العرب اللاحقين استلهموا من أساليب الشعر الأندلسي، مما ساهم في استمرار استخدام اللغة العربية في الأدب.

أمكننا القول؛ إذن بأن الشعر الأندلسي ساهم إلى حد كبير في الحفاظ على التراث اللغوي العربي انطلاقا من توثيق الكلمات والتعابير التي قد لحقها تغير أو تبدل جراء توالي الأزمنة، فقد استخدم الشعراء الأندلسيون مفردات وتعبيرات تعكس الحياة اليومية والثقافة الأندلسية، مما ساعد على الحفاظ على هذا التراث اللغوي ونقله إلى الأجيال القادمة.

الجانب المهم من هذا التراث هو أنه شكل جزءًا من المناهج التعليمية في الأندلس، حيث كان يُدرس في المدارس والجامعات. هذا التعليم ساهم في تعزيز اللغة العربية بين الطلاب، مما أدى إلى زيادة الوعي بأهمية اللغة وثقافتها. كما أن الشعر كان وسيلة لتعليم القيم والأخلاق، مما جعل اللغة العربية تتجذر في نفوس الأجيال الجديدة.

مما سبق نقترح في هذا المقام ضرورة قراءة هذا التراث الإنساني المتميز وفق رؤية جديدة تتماشى مع روح العصر وروح الإنسانية المبدعة، دعوة الجهات الحكومية في البلدان العربية إلى إعادة النظر في السياسة التعليمية، بتخصيص حيز تعليمي لهذا التراث في مواد دراسية، من المراحل الابتدائية حتى الدراسات العليا. ضرورة استثمار التكنولوجيات الحديثة في دراسة هذا التراث، ثم تعريف الناشئة بأهمية الشعر الأندلسي ودوره في حفظ اللغة العربية في شبه الجزيرة الإيبيرية.

الهوامش: